

## ما الصفات التي تريدها في صديقك؟



قال المفكّر وتمان: "أطمنني أستطيع أن أتجه نحو الحيوانات فأعيش معها.. إنّها تتصرف بهدوء البال، والقناعة النفسية.. كلما أطيل النظر إليها أجد إنّها لا ترهق نفسها ولا تتصرف عرقاً في سبيل عيشها.. إنّها لا تتنقلب في ظلام الليل تندب حظها باكية على ما فات..

لا أحد فيها غير راض، أو مصابةً بحمى امتلاك الأشياء..

لا أحد فيها مرفهاً أو معذباً على وجه الأرض..".

هكذا هي حال من لا يعرف معاملة الناس، وكيف يؤثر فيهم، ولا يعرف كيف يختار الصديق.. وإنّه لا ينتمي، لأنّه لأن يفضل معاشرة الحيوان؟!.. ثم.. من يريد صديقاً أو صاحباً بهذا الشكل، لا يتكلم ولا ينتقد.

إنّ الصديق أحق الناس باهتمامنا وعنايتها، وأحرى بالاحترام وحفظ المكانة.. لأنّ الإنسان يختلف عن الحيوانات الأخرى بأن لديه مجالاً واسعاً من الاختيار بين أساليب التصرف بالنسبة إلى وضعية معينة، كما يوضح ريموند فرث، وإن كان اختياره هذا يعتمد بصورة كبيرة على أسباب اجتماعية كثيرة، لأن يكون موجهاً باراء من حوله، وبفكرة العمل اللائق، والقيم..

### أهمية الصديق:

"إن كلّ أمراء في حاجة إلى أصدقاء"، كما يرى وليم هنري، "إذ هم يجعلون الحياة أبهج وأكثر

فخير ما اكتسب المرء الإخوان، لأنّهم معونة على حوادث الزمان ونوابه..

إنّ الفكرة القائلة بأنّ الإنسان يستطيع أن يعيش في عزلة عن الأصحاب والجيران فكرة خاطئة خطيرة.. لأنّ ما يؤثر في الناس على بعد مئات الكيلومترات منه، لابدّ أن يؤثر فيه.. أو كما يعبر برنارد شو: "ما العالم إلا جوار كبير.." .

فلئن استطاع الغني أن لا يشارك الفقير في العيش، فإنّه مرغم أن يشاركه في المصائب والموت إذا ما حلّ كارثة أو وباء.

#### صفات الصديق:

إنّ صحبة الأخيار تورّث الخير، وصحبة الأشرار تورّث الشر.. كالربيع إذا مرّت على النتن حملت نتناً، وإذا مرت على الطيب حملت طيباً.. فكيف نختار الأصحاب؟ إنّ البعض من الناس، كما يرى وليم هنري، يختارون من الأصدقاء ذوي الأفكار الناضجة، أو ذوي الميول والاتجاهات التي تتفق مع ميولهم واتجاهاتهم.. "فنحن في اختيار أصدقائنا نتوخّى إرضاء حاجاتنا الخاصة.." .

فما هي الصفات التي نريدها في الصديق؟

إنّ أحق الإخوان ببقاء المودّة من لا يملّك على القرب، ولا ينساك على البعد، إن دنوت منه داناك، وإن بعدت عنه راعاك، وإن استعنت به عضك، وإن احتجت إليه رفك، وتكون مودّة فعله أكثر من مدة قوله.

وقد وجد على خاتم ملك الهند: "من ودّك لأمر، ملّك عند انقضائه".

والصديق الثقيل هو الذي يتكلّف لنا، وقد قيل: "أثقل أخواني عليّ" من يتتكلّف لي وأتحفظ منه، وأخفهم على قلبي من أكون معه كما أكون وحدي.." .

قيل لأرسسطو: من الصديق؟ قال: إنسان، هو أنت إِلا أَنّْه بالشخص غيرك.. لأنّ العاداتين تصيران عادة واحدة، والإرادتين تتحوّلان إرادة واحدة، فيما لو رغم من أنّ الانفعال يظلّ كما هو، إِلا أَنّْه يحدث اندماج تفسي يصبح الشخص بمقتضاه جزءاً من كيان الشخص الآخر".

ومن صفاتي الحميّة أن يكون مواسياً فيشاركك مشاركة وجданية وفعالية..

والظاهر أن من يجهل معاملة الناس بالحسنى، لا يحسن الاختيار.. فلئن اختير له أفضل الأصدقاء فسينفضّون من حوله، أو قد ينقلبون له أعداء.. وما دام للبشر وجهان، أحدهما للخير والثاني للشر، فلن يكون الاختيار اعظم أثراً من المعاملة. فليست العبرة في الحصول على الصديق، ولكن العبرة في الاحتفاظ به.. لهذا ينصح الدكتور فروم: "أنّ لا نضيع أصحابنا أبداً كان عددهم، ومهما كانوا مزعجين.." .

#### الاحتفاظ بالصديق:

إنّ أعجز الناس طلباً من قصر في طلب الإخوان، وأعجز منه من ضيّع من طفر به منهم. ومن دواعي

-1 أن نغض النظر عن خطأ أصحابنا :

إذ مهما كان عدد أخطائهم فأخطأونا أكثر عدداً.. فكفّ اللسان عن الناس حفظ لنا من ألسنتهم، لأنّ النقد يولّد النقد، والغيبة تورث الغيبة.. والكراهية لا تولّد إلا الكراهية..

-2 متى سألنا عن عيوب صاحبنا، وجدنا شيئاً منها، مما يفقدنا الثقة، ويجعلنا على حذر من ذلك الصديق.. ومن الخطأ أن نخرج إلى الناس بدروع واقية، وأيدينا منكمشة متهدئة للّكم دفاعاً عن ذواتنا.. فهذا يدل على انعدام الثقة بهم.. وقد قال أحد المفكرين: "من الصعب علىّ أن أصافح يداً مغلقة...".

وقد وصف الدكتور زكريا إبراهيم مرضًا نفسياً اسمه الشعور بالهجر، فقال إنّ الشخص المهجور: "لا يثق كثيراً في إخلاص أصدقائه له، ولا يكاد يطمئن إلى صدق عواطف أقرب المقربين إليه..". وليس هذا لأنّه لا يريد أن يحبه أحد! كلا.. إنّه يريد أكثر من تبادل الحب والعواطف.. إنّه يتطلّب من محبيه الدليل على أنّه: "محبوب لذاته، بغير قيد أو شرط.. وليس من شأن مثل هذا الحرص الشديد على الظرف بالحب المطلق اللامشروط سوى أن يلتقي - في خاتمة المطاف - بضرر من الفشل، أو خيبة الأمل..".

-3 الجهد والمتابعة:

إنّ أصحاب الخبرة لا يؤيدون الموقف الخامل، فلا يريدوننا أن نقف مكتوفي الأيدي، منتظرین أن يأتينا الأصحاب إلينا فيطالبون ودّنا.. فالآلفة تحتاج إلى أساس تعتمد أكثر علينا.. لأنّ الصدقة - مثل أي عمل آخر - لا تبني إلا على أساس وطيدة.

في إقامة الصدقة تحتاج إلى جهود ومتابعة، ومن بين تلك الجهود - وقد يكون من أهمها - الجهد في البحث عن محسن الناس وذكرها.. فإنّ كلّ واحد منا - كما يرى الدكتور شسر -: "يفتح بسماع الحقيقة عن محسنه، وليس كذلك عن مساوئه..".

وأما الحقيقة عن مساوئه بقصد النصيحة، فهي ثقيلة على الأسماع، حتى على أذن أعز صديق.. وقد قيل: "إننا نستمع إلى النصيحة مادامت لا تتعارض مع مشاريعنا". فيجب ألا يكون معنى النصيحة إظهار الأخطاء أو المساوى.

إنّ تتبع المحاسن وذكرها ليس بالشيء اليسير، إنها تتطلّب منا بعض الجهد.. فمن السهل على الفرد أن يخدم وأن يقدر، ولكن الشيء الصعب، والذي يحتاج إلى شخصية قوية، هو "أن يتغاضى، وأن يتسامح، وأن يطرب..".

إنّها مسألة اختلاف جوهري في وجهات النظر بالنسبة إلى شخصية الإنسان.. فالمؤمنون بالمبادئ الفرويدية يرون أنّ الإنسان "نظام مغلق زودته الطبيعة بدوافع فسيولوجية مشروطة معينة". كما يفترضون أنّه مكتفٍ بذاته.. ولا يهمه إلا نفسه.. وأنّه إنما يحتاج إلى الآخرين لكي يشعّ احتياجاته الغريزية.. فإنّ أخفق في إشباع رغباته وحاجاته البايولوجية - أو قل الحيوانية - لسبب أو لآخر، حسب الأسلوب المقبول حضارياً، والذي لُقِّنه منذ بداية حياته، فسيشعر بضيق وقلق شديدين، وعدم ارتياح أو ضمان... .

وقد يتوقع أطباء العلاج النفسي، أنّه قد ينشأ لديه اختلال عقلي..

ولما كان فرويد وجماعته مقتنيعين بشرور الطبيعة البشرية، لهذا فهم يميلون إلى: "تفسير جميع الدوافع المثلالية في الإنسان بأنّها نتيجة شيء وضع..".

فهوّيات الجمع - مثل جمع الطوابع أو الصور أو رسائل الأصدقاء - ما هي، برأي فرويد، إلا نوع من "التسامي بالرغبة اللاشعورية للاحتفاظ باللغائب..".

مثل هذا الحيوان البشري الذي يتصوره الفرويديون، لا نستطيع أن نأمل منه أن يتغاضى، وأن يتسامح، وأن يمدح.. إننا لا نستطيع أن نرجو ذلك إلا إذا جعلنا: "قوام الحياة الأخلاقية انسجاماً يتعين إقامته بين ميولنا الخاصة وبين ميولنا الخيرية.." .

وعلى هذا يمكن أن تكون الفضيلة سارة وحلوة.. لا قاسية ولا صعبة.. ومن لا يملك ذلك الانسجام، بين ميوله الذاتية وميوله الخيرية الاجتماعية، فهو لا يرتفع كثيراً عن مستوى الإنسان الفرويدي.. فإن من يتوقع من أصدقائه أن يعطوا دائمًا دون أن يأخذوا شيئاً .. لا يستحق أن يكون صديقاً ..

تقول فرجينيا بيلارد، مؤلفة كتاب "أنت وقدرتك": فكر بالصديق بدل التفكير بنفسك. فإن ذا الشخصية المحبوبة هو الذي يتقدّم أصحابه.. فإن مرض أحدهم ذهب لكي يعوده في الدار أو المستشفى.. وإن سافر أسرع في الوقت المحدد لكي يودعه ويتمتنى له سفراً ميموناً .. وإن حصلت له مشكلة واسعة وطيبة خاطره..

#### -4 صديقة العمر:

والزوجة أحق بهذا التقدّم، لأن الزواج صداقة من الدرجة الأولى، مدعومة بعهود ومواثيق، وفيها بعض التضحيات من تنازل عن حقوق وتحمل الواجبات.. وهي رصيدها في الحياة نعود إليه كلما ادلهمنا الأمور وأرتنا الدنيا وجهها العابس.

ويوصي سقراط بالزواج لسبعين بقوله: "إن حصلت على زواج ناجح تكون سعيداً، وإن أعطاك الحظ مثل زوجتي تصبح فيلسوفاً..." .

ويحدّر آخر قائلاً: لا تعطن بذوق زوجتك، فقد رضيت بك زوجاً ..

ويوجب علينا فروم ألا ننتظر حتى يأتي فارس الأحلام، أو تأتي الفتاة المثالية، ثم نتزوج.. فإن انتظارنا هذا قد يطول ويطول..

كما أنّ الابتعاد عن الناس، خوفاً من المشاكل، نوع من الانعزالية المضرة بالشخصية. وعدم الاندماج بالمجتمع، حتى يأتينا الصديق الذي نرتاح إلى سلوكه، نوع من السلبية.. لأن الصداقة من مصادر قوة الشخصية، وليس في صالحنا سدّ مجّرى هذه المصادر..

#### -5 تبادل الاحترام:

قد يحسب بعضاً أن الصداقة، إن طال أمدها، لا تحتاج إلى المجاملة.. وأن بين الأصدقاء (تنتفي الكلفة) أو (تسقط الآداب).. فمتى شعرنا هذا الشعور فقد اقتربنا من نهاية صلاتنا الطيبة، لأن الدعامة التي تثبت الصداقة وتجعلها دائمة - كما يرى الدكتور شسر - هي: "الثقة والاحترام المتبادل.." .

إذْه يجيء عليك، متى حصل لك صديق، أن تكثر مراعاته، وتبالغ في تقدّمه، ولا تستهن باليسير من حقه، عند هم يعرض له أو حدث به.. فأما في أوقات الرخاء فينبغي أن تلقاء بالوجه الطلق والخلق الرحب، وأن تظهر له - في عينيك وحركتك وفي بشاشتك وارتياحك عند مشاهدته إياك - ما يزداد به، في كل يوم وكل حال، ثقة بمودتك وسكناؤ إليك..

#### -6 آفة الصداقة:

كما أن آفة العلم النسيان، يمكن القول إن آفة الصداقة النسيان.. فالصديق يعتبر النسيان إهانة كبرى، سواء أكان في مواعيده أم في تذكرنا أمراً من أموره..

إن خبراء النفس يفسرون أن النسيان لا يحصل إلا عند عدم الاهتمام بالشيء الذي يراد منا تذكره. فإن كان فرد من الناس لا يهمنا في كثير أو قليل، فإننا لا نلبث أن ننسى اسمه بسرعة، بعد أن سمعناه.

منه أو من يعمرّ فنا به. وقد يكون سبب نسيان الاسم أن كلّ واحد منّا يكون عند التعارف منشغلًا بنفسه.. يربّ وقوته ويفكر بمظهره، أو بالكلمات التي يختارها في التحية، وهذا اهتمام بالنفس لا اهتمام بتحية الناس.. أو يتمادي في حب ذاته إلى درجة أنّه ينسجم ويطرأ لسماع اسمه على لسانه أو لسان من يقوم بالتعريف..

يشير دونسيل إلى وجود نوعين من النسيان.. الأوّل: وهو الذي يحصل عادة بسبب مرور الزمن وضعف الذكريات المخزونة في الذاكرة.. والثاني: حيث تحاول الذكريات أن تبرز إلى عالم الوعي، ولكن أسباباً عميقـة – قد تكون مؤلمـة تمنعها من الخروج، أي نتيجة تصادم دافعين مختلفـين...

ولكن الذي يحصل، عند ملاقة أحد الناس وسماع اسمه، أننا لا نسمح للاسم بأخذ طريقه إلى الذاكرة.. فنكون قد سددنا عليه الطريق لأننا أشغـلـنا الحواسـ بـأـنـفـسـنـاـ، وبـحـبـ ذـوـاتـنـاـ..

ويرى أحد الناجـينـ أنـ الإنسـانـ عـادـةـ يـحبـ اـسـمـهـ، وـيـهـتـمـ بـأـسـمـاءـ أـهـلـ الـأـرـضـ جـمـيعـاـ.. وـأنـ اـسـمـهـ منـ أـعـزـ الـأـشـيـاءـ لـدـيـهـ.. وـهـوـ عـلـىـ أـلـسـنـةـ النـاسـ أـجـمـلـ نـغـمةـ، لـهـ أـعـذـبـ الـوـقـعـ عـلـىـ أـذـنـهـ..".

لهذا يلزم أن نعلم مقدماً أن اسم صاحبـناـ عـزـيزـ عـلـيـهـ أـيـضاـ.. ولـكـيـ نـكـسـبـهـ فـيـكـونـ صـدـيقـاـ لـنـاـ، بـدـلـ أنـ يـصـبـحـ حـاـقـدـاـ عـلـيـنـاـ، يـحـبـ أنـ نـبـذـلـ بـعـضـ الـجـهـدـ فـيـ سـمـاعـ اـسـمـهـ بـكـلـ اـنـتـباـهـنـاـ..

هل أـشـغـالـنـاـ كـثـيرـةـ؟ وـفـكـرـنـاـ غـيرـ صـافـ؟.. فـاـنـ يـسـاعـدـ رـؤـسـاءـ الـأـعـمـالـ إـذـاـ، وـلـيـكـنـ فـيـ عـوـنـ قـادـةـ الشـعـوبـ..

كان نـابـليـونـ الثـالـثـ يـفـخـرـ بـأـنـهـ – بـالـرـغـمـ مـنـ وـاجـبـاتـهـ وـأـعـمـالـهـ الإـدـارـيـةـ – لا يـنـسـىـ اـسـمـ إـنـسـانـ، وإنـ قـاـبـلـهـ وـسـمـعـ اـسـمـهـ مـرـةـ وـاحـدـةـ..

يقترح كـارـنيـجيـ لأـجلـ التـذـكـرـ، أنـ نـطـلـبـ إـعـادـةـ ذـكـرـ الـاسـمـ مـرـةـ ثـانـيـةـ، إنـ لـمـ نـسـمـعـ جـيدـاـ فيـ المـرـةـ الأولىـ.. ثـمـ نـحـتـالـ لـإـيجـادـ مـنـاسـبـةـ أـخـرىـ لـتـكـرـارـ الـاسـمـ، فـنـحـاـوـلـ استـعـمـالـهـ فـيـ أـثـنـاءـ حـدـيـثـنـاـ، كـانـ نـقـولـ: إنـهاـ مـنـاسـبـةـ طـيـبـةـ أـنـ نـتـعـرـفـ بـالـأـخـ أوـ الـأـسـتـاذـ (...ـ)، وـبـذـلـكـ يـكـوـنـ الـاسـمـ قـدـ أـعـيـدـ عـلـىـ أـسـمـاعـنـاـ وـكـرـرـ عـلـىـ أـلـسـنـتـنـاـ لـلـمـرـةـ الثـالـثـةـ..

وـالـمـطـلـعـ عـلـىـ حـيـوانـاتـ عـظـمـاءـ التـارـيخـ، وـعـلـىـ سـيرـ النـاجـينـ مـنـ النـاسـ، يـجـدـ أـنـ الكـثـيرـ مـنـهـمـ يـحـتفـظـ بـسـجـلـ لـأـسـمـاءـ الـأـصـحـابـ وـعـنـاوـينـ الـأـصـدـقاءـ، وـقـدـ يـضـيـفـ بـذـاـ مـخـتـصـرـةـ عـنـ أـعـمـالـهـمـ، وـأـسـمـاءـ أـطـفـالـهـمـ، وـهـوـ يـاـ تـهـمـ..

فالـسـلـبـيـ فـيـ هـذـهـ الـحـيـاةـ حـقاـ هوـ الـذـيـ يـنـظـرـ إـلـىـ الـوـرـاءـ قـلـيلـاـ فـيـقـولـ: لـقـدـ كـانـ لـيـ أـصـدـقاءـ أـعـزـاءـ، قـضـيـتـ مـعـهـمـ أـيـامـ حـلـوةـ.. وـلـكـنـنـيـ لـأـدـريـ مـاـذـاـ حلـ بـهـمـ الـآنـ.. وـلـاـ أـعـرـفـ أـيـنـ يـسـكـنـونـ!▶